

دور اللسانية في التعريب

الأستاذ صالح القرماوى

(مدير بحوث قسم اللسانية التابع لمركز الدراسات

والبحوث الاقتصادية والاجتماعية - بنونس)

((بآية لغة ننقف اطفالنا ؟ .. آية عربية ؟ ..))
انها عربية يكون تركيبها الصرفى والنحوى والمعجمى
تركيب الفصحى الحديثة المبسطة وتكون فى نفس
الوقت مفتحة ...))

ان المتصفح للصحف والمجلات المغربية اصبح يجد
فيها جميع المواقف والانتقادات فى هذا الصدد .

وقد شرعت اقطار المغرب بعد الاستقلال - وهى
مستمرة فى ذلك الى الآن - فى انجاز بعض التجارب
فى ميدان التعريب اخذت كما وكيفا من حيث درجة
شمولها وتخطيطها المنطقى ومنهجيتها العلمية فاختلقت
بالتالى من حيث حظها من التجاح والدوام .

ويبدو فى هذا السياق ان اثبت تجربة قيم بها فى
بلدان المغرب العربى هى التى تجري الآن بالجزائر
الشقيقة . فقد ادرجت حكومة هذه البلاد منذ سنة
1968 فى راندها قوانين خاصة بالتعريب متبينة آياها
بصورة رسمية باعتباره مهمة عظمى ينبغى انجازها
ضمن برنامج انجاز المشاريع الحكومية الاخرى من
ثورة زراعية واقتصادية وثقافية .

ومن الطبيعى فى مثل هذه الملاحظات التاريخية
وامام عظمة العمل الذى يستدعيه التعريب على اسس
عصرية ناهضة ان تفتح فى وجه اللسانين المغربيين
من مغاربة وجزائريين وتونسيين آفاق عريضة للنشاط
العلمى وامكانيات لا تحصى للبحث والتصنيف من
ذلك :

(1) ميدان شاسع للتقيب العلمى الاساسى فى
حقل البحوث اللسانية مثل :

وصف كامل للواقع اللغوى والاجتماعى - اللغوى
فى البلاد وصفا علميا دونما تفريط فى اى عنصر من
عناصره .

تواجه بلدان المغرب العربى فى الفترة الراهنة
من تاريخها مشكلة هامة جدا يتوقف عليها تطورها
الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، غنيا مشكولة
التعريب ذلك الواجب التاريخى الحتمى الذى لا مناص
من تحقيقه لاستعادة مستويات الذات الالهة وبناء
مستويات الذات المتجددة المتحركة على اساسها .

فكيف سيتسنى لهذه البلدان ان تتجاوز مرحلة
التفكير والتردد التى دامت طويلا فتتخذ لنفسها
فى اقرب الاجال سياسية لغوية رصينة منطقية منظمة
مخططة تكون غايتها تعميم استعمال اللغة القومية
الوحيدة فى هذه الديار ، آي اللغة العربية فى جميع
مستويات حياة البلاد ؟

وكيف سيتمكن فى نفس الآن من ادخال التعديلات
والتحويرات التدريجية اللازمة فى تعليم اللغات
الاجنبية من انكليزية وفرنسية وروسية والمانية
واسبانية وايطالية ... باعتبارها اداة هامة - وان
كانت ثانوية بالنسبة الى اللغة القومية - تسهم
بالتفتح الضرورى على العالم المعصرى ؟ وقد احتد
النقاش الايديولوجى فى بلدان المغرب العربى حول
مسألة التعريب (1) منذ الاستقلال وحسمى وطيس
الحرب القلبية فى هذا الشأن بين مختلف الفئات
الاجتماعية والثقافية المتعايشة فى صلب المجتمع
المغربى - فمن مدافع عن التعريب النام فورا الى
ذائد عن ازدواجية اللغة ومن قائل بوجوب استعمال
اللهجات الدارجة الى مناصر لفكرة الفرنكوفونية حتى

(1) هذه المسألة هى الآن موضوع دراسة التابعين لمركز الدراسات والابحاث الاقتصادية
والاجتماعية .

المشترك . وقد تم تكيف جهودهم بالخصوص في نطاق البحث الخاص بوضع الرصيد اللغوي المغربي .

وفي نطاق هذه الدراسة المشتركة التي تضافرت عليها جهود اللغويين المغاربة وكذلك في نطاق البرنامج العام في البحث العلمي الخاص بقسم اللغوية بالمركز نقدم اليوم لحضرات المؤتمرين لمحة عن عمل هذا القسم .

لقد أسس قسم اللغوية التابع لمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية في بداية سنة 1964 وما أنفك أعضاؤه منذ ذلك الحين يعملون جهدهم في سبيل تحقيق برنامج مزدوج الهدف .

(1) القيام في مرحلة أولى واجبة ببحوث علمية أساسية غايتها وصف الواقع اللغوي التونسي بأسس بجميع مقوماته من عربية فصحي وعربية دارجة وبربرية وفرنسية الخ ... وصفا علميا موضوعيا دونما تحيز للغة دون أخرى أو تفريط في واحدة منها جميعا .

(2) القيام في مرحلة ثانية واجبة كذلك ببحوث وأعمال تطبيقية تتمثل في وضع المعلومات والنتائج المتحصل عليها أثناء أبحاث المرحلة الأولى في خدمة تطوير الواقع اللغوي في بلادنا تطورا عصبيا وذلك بالمساهمة خاصة في التعريب بوضع مواد ووسائل بيداغوجية جديدة أهمها كتب القراءة لتعليم اللغة العربية بالاعتماد على أحدث الطرق التي جاءت بها معطيات اللغوية الحديثة .

(1) وهم الأستاذة زهرة الرباحي والأستاذة الطيب البكوش ورشاد الحمزاوي ومحمد المصوري وعبد القادر المهري وهشام سبك واحمد المليد ومحمد المونلي وصالح القرمادي .

ولقد تمكن قسم اللغوية باستعمال هذه المنهجية الرصينة من القيام بمدة دراسات وبحوث نشر عدد كبير منها بتونس نخص بالذكر منه ثلاثة كرايس يتعلق واحد منها بوصف فونولوجيات بعض اللهجات التونسية وآخر بالنظر في الألفاظ المستعملة في كتب القراءة العربية بالسنة الأولى من التعليم الابتدائي وثالث بدراسة بعض مظاهر ازدواجية (أو التثنية) اللغوية ببلادنا وكذلك البحث الهام الخاص بضبط الرصيد اللغوي أو ما يسمى بالعربية الأساسية . كما أن أعضاء القسم عاكفون الآن على إنجاز مشروع عظيم جدا يتمثل في وضع وصف السنن جديد للغة

— تحليل مختلف اللغات المتعاشة بالبلاد من الناحية اللسانية .

— القيام بدراسات مقارنة يقارن أصحابها فيها بين تراكيب مختلف هذه اللغات من الناحية الصوتية والصرفية والقوية المعجبة .

(2) امكانيات لا حد لها للقيام بتجارب عملية تجري على هدي تعاليم اللسانية التطبيقية منها .

— المساهمة في تعريب بعض الكتب المدرسية المستعملة في البلدان المتقدمة والخاصة بالمغاربة العلمية من المعرفة مثل الحسابيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والجغرافية الطبيعية وذلك قصد استعمالها في المدارس المغربية .

— المشاركة اللغوية في تحرير الكتب المدرسية القومية باللغة العربية وذلك في المواد ذات الطابع القومي المغربي مثل التاريخ والجغرافية البشرية والاقتصاد والحقوق ...

— المشاركة اللغوية في إعادة تكوين المدرسين المغاربة للمواد العلمية من الناحية اللغوية وذلك بتلقينهم بسرعة ما يحتاجون اليه من قواعد العربية ويهدم بالخصوص بقائيات من الألفاظ العربية المقلدة للمصطلحات الأجنبية التابعة لاختصاصاتهم .

وفي حالة ما اذا تبنت جميع حكومات المغرب العربي التعريب باعتباره مهمة رسمية يتحتم تحقيقها في نطاق مخططاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فوفرت للسانين المغاربة ما يحتاجون اليه في هذا المضمار من وسائل مادية وبشرية جبارة فانه يبدو لنا ان هؤلاء الاختصاصيين في اللغة مستعدون الآن لجمع قواهم وتكثيف جهودهم للمساهمة العلمية في تحقيق التعريب بوصفه مشروعا قوميا عظيما يلعبنا على الحماس وما من شك في ان جميع صعوبات التعريب الحقيقية الموضوعية من شأنها ان تفلح عن طريق مثل هذا العمل العلمي الثابت المثابر المخطط تخطيطا عقلانيا رصينا والجاري في نطاق برنامج حكومي واسع المدى لتثنية بلادنا تلبية عصرية متماشية ومتقتضيات الحياة المتجددة . هذا وان هؤلاء اللسانين واللغويين المغاربة المتجمعين الآن في صلب معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر ومكتب تسويق التعريب بالرباط وفي قسم اللسانية التابع لمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس قد شرعوا بعد في التعاون والعمل

منظور أم تعيب محفوظ أم على الدواعي أم لفظة
الإناعة والصحافة أم لغة بعض القادة والزعماء العرب
أم اللغة التي يتعامل بها الناس في الشارع أو بالمنزل
بل اللغة التي يتخاطب بها أعضاء مؤتمرات المؤتمر إذا
ما خلوا إلى أنفسهم بعد المناقشات والمجادلات .

سأنتي :

إن الجواب الرصين على هذه الأمور لن يكون
الا عن طريق العمل العلمي الرصين المتأخر المتوقف أولا
وبالذات وفي نطاق مساعدة الحكومات على تصالون
الاسنيين والعلماء والمربين .

على أن تكون الفكرة الأساسية التي نقتدي بها
في هذا المضمار هي التعريب قدر الامكان بين مستوى
لغتنا أي مساواة الفصح ومساواتها المستعمل
الشائع بين الناس والجماهر العربية وذلك حتى
يتسنى لنا شيئا فشيئا اتخاذ لغة متكاملة تعبر عن
جميع مستويات الحياة بما فيها من راق نبيل ويومي
بسيط لغة يكون تركيبها الصرفي والنحوي والمجسمي
تركيب الفصحى الحديثة البسيطة وتكون في نفس
الوقت مفتحة قليلة عند الاقتضاء للدخيل من الألفاظ
الدارجة والأجنبية الضرورية للحضارة . وذلك حتى
يكون التعريب ليس غاية جمالية فحسب وإنما وسيلة
اجتماعية ثمينة تمكنا من الاتكاء على الماضي للقفز في
المستقبل وهضم التلبد لاستيعاب الجديد وترك الجبود
والاخذ في الصمود .

والسلام عليكم

العربية الفصحى الحديثة وذلك إلى جانب اهتمامهم
بتعريب بعض كتب الاسنة الأجنبية ويوضع معاجم
مبنية للمصطلحات العربية المستعملة في ميدان
الاسنية في كامل البلدان العربية .

هذا وإن نشرات قسم الاسنية التي كانت تصدر
بالفرنسية بهكم بعض الظروف القاهرة الخاصة
أصبحت الآن تنشر بالعربية فقط أو باللغتين العربية
والفرنسية وذلك عند الاقتضاء وتصميم الفائدة .

أيها السادة المؤتمرون :

انه يبدو لنا أن مهمتنا الاسنية اليوم تتبذل
في محاولة الإجابة العلمية على عدة أسئلة يتساقطها
مجتمعنا في نطاق تطوره وفي تلقن وهجرة لئلاها من عظيم
الخطر بالنسبة إلى تجديد حضارتنا وشخصيتنا
في المستقبل :

فترى بلبه لغة يجب أن ننقف أطفالنا اليوم
وغدا ؟ وما هي اللغة التي سيجد فيها الطفل العربي
المغربي هويته المتطورة وكذلك وفي نفس الآن الفعلية
اللائمة التي ستمكّنه من الخروج من التسيين التاريخي
الذي ناء عليه بكليلة ومن الطوق على صفحة التاريخ .

والواقع أن الجواب على مثل هذه الأسئلة ليس
بلان يقال : الأمر بسيط إذ هذه اللغة هي العربية
بداهة وإنما بلان يوضع سؤال آخر هو التالي :
أية عربية ؟ فترى ما هي العربية التي ستكون لفظة
غدنا أي لغة يتكلمها ويفهمها ويكتبها ويقراها كل فرد
منا ؟ أهمل ستكون لغة القرآن أم لغة ابن قتيبة أم ابن